

فتح في عالم الطب

يوفق إليه بحاشة وطني

للأستاذ فليكس فارس

—*—

إذا كان رجال العلم في الأقطار الغربية يترصدون كل اكتشاف ويرقبون كل اختراع يوفق إليه التفكير الإنساني أبان كان النماه ومن أية أمة كان ابتعاقه، وإذا كنا نحن في بدء نهضتنا لا يتبع منا إلا تسدر اليسير خطوات العلم في مجاهل الجسم البشري ومجالات الطبيعة في مختلف مظاهرها، فقد حق علينا على الأقل أن يستوفينا ما يوفق إليه الباحثون من أبناء وطننا، وأن يهتم الخاصة والعامة منا بأية ظاهرة من ظاهرات البقيرة التي تتجلى من حين إلى حين في أبناء هذه السلالة العربية الشرقية كأنها تبشير الشفق ودليل انبعاث لهدنا القديم

لقد أراد البمض ممن يدعوننا إلى اتباع الثقافة العلمية الغربية أن يدعوا تفرد السلالات الآرية في الذهنية الاستقرائية قائلين: إن ذهنية الشرق لا تخصب إلا بالاستيحاء والاستلهام من النفس، وإنها تقصر في مجالات التدقيق أمام الظاهرات الكونية، وأن ليس لنا نحن أبناء السلالة السامية إلا الاقتباس والعمل بما يكتشف الغرب، فقلنا لهم: إن أجدادنا قد تسلموا تراث العلم ممن سبقهم من الشعوب فدفعوا به إلى التكامل وتوسموا فيه وزادوا عليه،

ولكننا سنبتع طريق غازي، وسنمشي تحت لواء خليفته. حتى نبلغ الغاية التي سمي إليها وبقول التاريخ: إن العرب سيكون سيدهم الراحل لأن لهم عواطف وقلوباً، ولكنهم يخلصون لسيدهم الجديد لأن لهم مطامح وعقولاً. فيا غازي إذهب إلى رحمة الله مشيحاً بالحب والإكبار. ويا ابن غازي اعل العرش، وانشر اللواء واحمل التاج، فإنه ليسر روح غازي في سماها، وعظامة في تراها أن يخلص شعب غازي لخليفة غازي كما أخلص له

يا غازي عليك رحمة الله. ويا خليفة غازي ابسط يديك فهذه يبعتنا، ومر بنا إلى الأمام فهذه سواعدنا وهذي أرواحنا... إلى الأمام... وعلى غازي رحمة الله والسلام.

على البططاري

فما أقنعم دليل الواقع في التاريخ القديم؛ غير أن الزمان يمضي بخطواته والشرق العربي يستعيد أمسه في يومه ويهيا لربيبه الكبرى في غده، فيعلم دعاة التقليد في مجال التفكير أن الله لم يخلق العقل من مقانيم متعددة متفاوتة الصفات في جاجم الناس؛ وأن الشعوب إذا انفرط شملها على سبل الثقافة في عواطفها وتجمعها في حياتها فأنها لا تجد أمامها إلا صراطاً واحداً في التفكير، وهي متجهة إلى العلم ومعرفة الحقائق الواحدة في جوهرها

هذه كلمة لم أبدأ من إيرادها عطفاً إلى ما سبق لي نشره في مبحث الشرق والغرب لأتدرج إلى قول كلمة في ظاهرة من مظاهر نهضتنا العلمية يحق لنا أن نباهي بها، وقد أقرها من الغرب من لهم رد ما نبني على التوهم والاعتراف بما يؤيده العلم الصحيح

من الأمراض التي أضلت أسبابها الباحثين قديماً وحديثاً داء الروماتزم أي التهاب المفصل الحاد بأنواعه. فكان دهاقنة الطب يعرفون عنه أنه داء عضال خفيت أسبابه، وعز على الطب التحكم فيه إطلاقاً لأنهم لم يوفقوا إلى اكتشاف العامل الحقيقي الذي يلعب المفاصل بسمومه، ولا عرفوا نوع هذه السموم إلى أن قبض الله لطبيب مصري من هذا الشرق العربي، وهو: الدكتور نجيب فرح المقيم في الاسكندرية أن يكشف هذا العامل الخفي، وهبتك بإظهاره للعلم سلسلة من أسرار المناعة والدفاع لا في داء الروماتزم فحسب بل في غيره أيضاً من الأدوية التي لا يزال العلماء يعالجون خفاياها

وحين عقد المؤتمر الطبي العربي أوائل فبراير الماضي في القاهرة تقدم الدكتور فرح إليه بتقرير مستفيض عن أبحاثه التي اعترف له بها دهاقنة أطباء الغرب واستشفوا من وراءها آفاقاً جديدة للطب فأورد بالأسلوب العلمي شذرات قد لا يسبر كنهها إلا رجال الطب فرأينا التحدث إلى طبيعنا الوطني استجلاء لحقيقة هذا الاكتشاف. وهكذا تسنى لنا أن نضع هذا المقال، ونحن على جلية مما نعرض لقد وفق مواطننا سنة ١٩٣٣، وهو يعالج المصابين بالروماتزم إلى العثور على جرثومة البنموكوك نائرة في دمهم، فاستوقفته هذه الثورة في داء لم يكن يُعرف من قبل أن له بها علاقة مباشرة إذ كان من المقرر أننا أن البنموكوك كما تدل تسميته وهي جرثومة ذات الرئة لا يسبب إلا التهاب الرئة عند تهيو الأسباب له للخروج من استكانته

الملونة للصفراء تلبد البنموكوك ونحله وهو أصل الداء في ثورته . وهكذا جاء مواطننا في مجتمع من أكبر المجتمعات العلمية العالمية بتعليل يميزه الاستقرار والتحقيق لظاهرة كان يقف عندها الأطباء كأنها تصادف بين حلول داء الروماتيزم وظهور اليرقان دون أن يعلموا أن ثورة البنموكوك هي كلمة السر في حركة الهجوم والدفاع

أما الأمراض الأخرى التي اكتشف الدكتور فرح تأثير المادة الملونة للصفراء عليها ، فهي ذات الرئة وبعض أنواع الربو والحصى القرمزية التي تهبط الحصى والتوب فيها ويتأثر العليل بها إلى الشفاء بمجرد ظهور اليرقان وانتشار المادة الملونة للصفراء لحل البنموكوك وإبادته . ومنها داء السل والحصى التيفوئيدية التي تجد جراثيمها مرتعاً ملائماً في المادة الملونة للصفراء فتؤدي إلى استفحال الداء على عكس ما يحدث في ذات الرئة والروماتيزم والحصى القرمزية ، لذلك يعتمد الجسم في دفاعه إلى إنقاص معدل هذه المادة في الدم حين يصاب بالعلل الأولى

وهكذا أثبت مواطننا أن هناك دفاعين : دفاعاً إيجابياً ودفاعاً سلبياً تؤمنه الشبكة الفارسية لإمداد الجسم بقوى الدفاع عن سلامته بحسب نوع الجراثيم التي يحتاجه

هذا وإنك لتجد في تقرير الدكتور فرح من تجاربه في دم الأرنب ما يدل على مبلغ دقته واجتهاده في التوصل بالتجارب العملية إلى نتائج لا تترك مجالاً للشك في صحة القاعدة التي يضعها ، فقد تحقق أن الأرنب ذو مناعة طبيعية ضد التيفوئيد لأنه لا مادة ملونة للصفراء في دمه ، ولكنه تمكن من قتل هذا الحيوان بهذا الداء بمجرد حقنه يومياً بهذه المادة بمد تلقيح دمه بإشلس أيرت وفي هذا التقرير عن سير الحل وما يؤدي إليه ظهور اليرقان من اشتداد العلة ، والاتجاه إلى نزف الدم ، وعن الحصى القرمزية ، والربو وتأثير المادة الملونة للصفراء فيهما ، ما يطول إيراد تفاصيله في هذه المجالة .

وبعد أن أورد الدكتور بيانه مستشهداً باختباره وبما جاء مؤيداً لها من اختبارات من أخذوا بنظريته من علماء الغرب يقول :

إننا لا نتألى إذا نحن أكدنا أن أشد أعداء الإنسانية خطراً إنما هي البنموكوك ، وإشلس كوخ لأن عليهما تقع تيمة أكثر

وعند ما لجأ إلى طريقة « نوفلد » للتفريق ما بين البنموكوك والستر بتوكوك « وهي تقوم بإضافة صفراء مرارة الأرنب أو الأملاح الصفراوية في أنبوية المعمل على هذه الجراثيم فتحل النوع الأول ولا تؤثر على النوع الثاني » خطر له وهو بمان هذا التفاعل في الأنابيب أن يقيس معدل هذه المادة المعروفة باسم « يلسبروين » في دم المصابين فثبت لديه أنها ترتفع ارتفاعاً متفاوتاً في شدته تبعاً لقوة رد الفعل الشخصي دون أن يكون في مجرى الصفراء أى انسداد وفي السكب أية علة يسند إليها ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء في الدم بالتحول ، فأدرك بهذه الخطوة الموقفة أمرين هما الحلقة المفقودة في علة الروماتيزم وفي علل أخرى كما سيأتى البيان . وأثبت أن الروماتيزم الحقيقي إنما هو نتيجة لثورة البنموكوك عند ما تضعف مقاومة الجسم ، وأن السم الذي ينبعث عنه إنما هو المسبب لالتهاب المفاصل كما أثبت في الوقت نفسه أن ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء في الدم في هذه الحال ليس عبارة عن يرقان سرّضى بل هو رد فعل داخلي قد يبدو تحت سيطرة الغدد الصماء لحشد ما يمكن « لشبكة آشوف » الفارسية أن تمد به الخلايا من مادتها الملونة للصفراء لمقاومة البنموكوك المحتاح بتليده في السدم ثم حله ثم هضمه

وما احتفظ الدكتور فرح لنفسه بهذا الاكتشاف بل ذهب يكرر اختباره وينشر عنها في كبريات المجلات الطبية ، وقد سبق أن أدلى عنها ببيان في المؤتمر الثامن للاتحاد المصري للأطباء عام ١٩٣٦ ونشر مثل هذا البيان في مجلة لانسييت عام ١٩٣٧ ، وفي مجلة أمراض البلدان الحارة في لندن عام ١٩٣٨ ، ثم عرضه على مؤتمر أوكسفورد العالي في جلسة ليمانفتون فدون في محضره . فكان لما جاء به هذا الطبيب الوطني من الملاحظة والاستقراء والتعليل شأن كبير لدى رجال الغرب المقطعين إلى استكشاف مجاهل الجسم واستجلاء أسرار العلل فيه

وعند ما عقد المؤتمر الطبي العالي في بات من أعمال انكلترا في أبريل سنة ١٩٣٨ ووقف النطاسي « هانش » يمرض مشاهداته السريرية عن تأثير اليرقان في الالتهابات الفصليّة والعصليّة مكتفياً بسرد الحوادث دون الذهاب إلى تعليلها ، وقف مواطننا الدكتور فرح فتناول شرح هذه الظاهرة بما اكتشفه في اختباره طوال السنين من تأثير اليرقان تأثيراً ناجحاً في الروماتيزم مثبّثاً أن المادة

فكرياً وعملياً، بل القصور كله كائن في هذا التفكك بل التناحر الذي يسود كل فئة من الجامعات في أوطاننا، إذ بينا مجد التضامن سائداً بين تجار البلاد الراقية وزراعتها وصناعاتها وأطبائها وعلمائها وأدبائها لا تمرض لك هذه الفئات عندنا سوى التناحر والمزاحمة مما يؤدي إلى تقلص الهمم وانكماش العقربيات على نفسها. وقلمنا نجد كاتباً لم تنزل به النوائب من كاتب، أو تاجر لم يزغزع تجارتة تاجر، أو زارعاً لم يقطع أشجاره زارع، أو طبيباً لم يهزأ به طبيب.

تلك هي علتنا، وإن نحن سجلناها على أنفسنا فما نقصد بحجارة من قالوا بضعف طبيعة الشرق ونفور فطرته من كل تعاون، إنما نسجل هذا العيب على أنفسنا، وفي تاريخ أوروبا في بدء نهضتها ما يشبه عيونا بل ما يتعداه بمراحل؛ وليست وقائع كولومبس وغاليله وباستور متوالية وراء غياهب التاريخ. هذا وإننا نرجو أن يأخذ العقلاء بيننا بعبر الأيام وحوادث الدهر ليمملوا على لم الشمت وتوحيد الجهود وأن ينال علماء البلاد قسطهم من تمضيد الحكومة للنهوض بهذه الأمة المتفجرة ذكاءً وعبقرية وبلا فتنبؤاً المقام الذي حق لها في ماضي الحقب وهو حق لها في آتي الزمان

فليكس فارس

أهمره

تنشأ

مدارس برليتنس

بشارع عماد الدين رقم ١٦٥

ما بين أول و ١٥ أبريل

فصول مبدية في اللغة

الفرنسية والانكليزية والألمانية

٩ أشهر	٦ أشهر	٣ أشهر
١٨٠	١٣٠	٨٠

ما نشاهد من عاهات، وما يقع من وفيات. هذا فضلاً عن أن أعراضهما المرضية تتخذ أشكالاً جدياً متعددة؛ وإذا ما احتلما مرتكاً من الجسم توافر الاستعداد فيه أو انكشف إحساسه فإن الأول يؤدي إلى الإصابة بالروماتزم الحقيقي، والثاني إلى ما يشبه الحقيقي، وإلى داء المفاصل على اختلاف أنواعه وفقاً للتفاعل الخاص في كل فرد. وبعد أن يمرض الدكتور البجاعة لأنواع الأمراض التي يلعب البنموكوك دوره فيها كذات الرئة والالتهابات الشعبية والربو والحصى القرمزية والسل يمود فيضع حدوداً للتمييز بين ما تثيره سموم البنموكوك وما تثيره سموم السربتوكوك من علل مختلفة مشتبهاً تأثير المادة الملونة للصفراء وأملاح الصفراء على الروماتيزم الحقيقي بعد أن أثبت أن البنموكوك هو المسبب له عند ثورته

ومما لاحظته مما يؤدي اكتشافه هو أن المرأة المصابة بالروماتيزم تزول أعراض هذا الداء منها بمجرد حملها، لأن المادة الملونة للصفراء يرتفع معدلها إطلافاً في دم الحامل طوال مدة الحمل

وقد حدد الدكتور فرح الأحوال التي تصح فيها معالجة المرضى بالحقن بالمادة الملونة للصفراء والأحوال التي تزيد فيها هذه المعالجة من خطورة الداء؛ وهنا تظهر الدقة البالغة حدها في الاستقراء إذ يتوصل البجاعة إلى تخطيطه بمض دهاقته الغرب في اعتقادهم أن كل روماتيزم يمكن معالجته مطلقاً بالمادة الملونة للصفراء لأن هنالك أنواعاً من الروماتيزم السلي « بونيه » تزيد خطورتها عند المعالجة بالمواد الصفراوية

من الصعب أن يتوصل كاتب إلى تلخيص كل ما أورده الدكتور فرح في تقريره من ملاحظات عززها بالرسوم العديدة المأخوذة عن مجالات المجهريين التفاعل الذي تثيره مقاومة الجسم بين بعض أنواع الجراثيم والمادة الملونة للصفراء؛ فلن تروق له هذه الأبحاث من غير الأطباء أن يرجع إلى المجلة الطبية حين صدورها ناشرة محاضرات أطباء البلاد العربية ولكل منهم أثر بين في دقة الملاحظة في الموضوع الذي تناولوه مما يسجل للنهضة العلمية في الشرق العربي ما يرد قول القائلين بالمحصار البقريّة السامية ضمن نطاق الذات المستلهمة وقصورها في الاستقراء والتحليل والاستنتاج في رحاب العلم والتحقيق العملي

إن القصور في نهضتنا لا يتجلى في جهود الأفراد ولا في استعدادهم